آلــة الفتــوى:
الهيمنة والتحكّم في الفضاء الافتراضي الإسلامي

غاري بونت
ترجمة: بدر الدين مصطفى

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2020
All rights reserved © 2020

آلة الفتوى: الهيمنة والتحكّم في الفضاء الافتراضي الإسلامي[1]

تأليف: **غاري بونت**[2] (Gary B. Bunt)

ترجمة: **بدر الدين مصطفى** (مصر)

1 ترجمة لأجزاء من الفصل الرابع من كتاب:

Gary R. Bunt, Hashtag Islam How Cyber-Islamic Environments Are Transforming Religious Authority (California: The University of North Carolina Press, 2018) pp. 63- 83

2 أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة ويلز. تركزت دراساته حول موضوعات تتعلق بالدين الإسلامي والفضاء الإلكتروني، تأطير الآخر، الفلسفة الإسلامية؛ والإسلام والبيئة. من مؤلفاته الإسلام في العصر الرقمي (2007)، الإسلام الافتراضي (2003).

الملخّص:

تعدّ السلطة الدينية واحدة من المحرّكات الرئيسة في البيئات الإسلامية الافتراضية. يسعى غاري بونت في هذا الفصل للإجابة عن مجموعة من التساؤلات، مثل: كيف استخدم طيف من المنظّمات والمؤسسات والأفراد النموذج الإعلامي النامي لتعزيز نظرة عالمية محدّدة للإسلام؟ كيف يمارس الواقع الافتراضي نفوذه في مجال الفتوى الدينية؟ وهل تغير مفهوم السلطة الدينية عندما انتقل من المستوى الواقعي إلى المستوى الافتراضي؟ ما هي ردود الفعل التي قدمت على القضايا المهمة التي وجهت إلى السلطات الدينية؟ لمعالجة هذه الأسئلة، يقدّم بونت دراسة حالة لواقع السلطات الدينية الرئيسة على الإنترنت لإظهار مناهجها واهتماماتها المتنوّعة.

*****

أثناء الكتابة عن السلطة الدينية وصناعة الفتوى داخل السياقات الإسلامية، كنت أقوم ببعض الأعمال في باكستان وماليزيا خلال منتصف التسعينيات، حيث التقطت كيف بدأت المحادثات الإلكترونية والبريدية في التأثير على قضايا العالم الحقيقي وأحداثه. كان العلماء يتبادلون الأفكار، عبر هذا الشيء الذي تم تقديمه مؤخرًا (على الأقل للاستهلاك العام) تحت مسمى الإنترنت. من المتوقع آنذاك أن تكون الأجهزة الخاصة بها محدودة القدرات، وكان عليهم الذهاب إلى الجامعات من أجل الوصول إلى البيانات. كانت المحادثات الناشئة تتم عبر غرف الدردشة، وكانت هناك مجموعات مختلفة تتولى إعداد الأمر ومتابعته.

من موقعي في الحرم الجامعي الأصغر في المملكة المتحدة، استغرقت في محادثات حول القضايا العالمية المهمة المرتبطة بالإسلام والمسلمين. أصبح تأثير هذه الحوارات الرقمية المبكّرة غير موثّق إلى حد كبير، ولم تصل المحادثات عبر الإنترنت إلى كتلة حرجة، حيث كان سيفضي ذلك بالضرورة إلى مراقبتها أو تسجيلها بالكامل. لقد أثبتت أنّ هناك شيئًا مهمًا يحدث. أصبح هذا الأمر أكثر أهمية عندما بدأت مسيرتي في المحاضرات وقام الطلّاب بإحضار مواد في فصول عن الإسلام تم الحصول عليها عبر الإنترنت، دون إسناد أو فهم لمكان وجوده (أي الإسلام) جغرافيًا أو ثقافيًا أو أكاديميًا أو بالفعل روحيًا. ولكي أقدم لهم يد العون، علّمت نفسي كيفية ترميز وبناء موقع الويب الخاص بالمسارات الإسلامية لتقديم إرشادات حول مختلف المصادر المتوفرة على الإنترنت في عام 1996. لقد استفدت من أنشطتي قبل دخولي الأوساط الأكاديمية، بما في ذلك خبرتي في مجال البث الإعلامي والوسائط المطبوعة، إضافة إلى تجربتي في استخدام الأشكال المبكّرة للغاية من أجهزة الكمبيوتر.

استحوذ موقع الممرّات الإسلامية على جمهور دولي واسع، حيث نبهّني إلى ضرورة بذل المزيد من التحليل في هذا المجال. وقد ظهر اهتمامي نفسه في كتاباتي، التي جمعت اهتماماتي في السلطة الدينية ووسائل الإعلام. وقد ابتكرت مصطلح البيئات الإلكترونية الإسلامية (cies) كمفهوم شامل، يُستخدم لتغطية مجموعة من الأنشطة عبر الإنترنت، سواء كانت أطروحة عبر الإنترنت من باحث إسلامي أو تغريدة من ناشط في سائط التواصل الاجتماعي. يستخدم مصطلح "الإسلامي" للإشارة إلى أي رأي يصف نفسه بأنه ينتمي إلى الإسلام، حتى لو لم يتمّ الإجماع على هذا الرأي عالميًا من قبل جميع المسلمين. تطور مصطلح "البيئات الإلكترونية الإسلامية" نفسه بما يتماشى مع التطورات في المجال التكنولوجي ومحو الأمّيّة الرقمية.

إنّ فهم الواجهات التكنولوجية له أهمية متزايدة في تطوير فهم القضايا الإسلامية المعاصرة ونشرها. من الضروري للغاية استيعاب التطور المستمر للواجهات والبرامج الثابتة والأجهزة ضمن التفسيرات الأكاديمية للفكر الإسلامي المعاصر. بعض من تلك الابتكارات الحديثة، اعتمدها المستخدمون بسرعة؛ ضع في اعتبارك النموّ الهائل للفيس بوك واليوتيوب وتويتر في العقد الأول من عام 2000 وتأثير الأشكال المطوّرة للوصول إلى الإنترنت عبر الأجهزة المحمولة مثل الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية. هناك ميل للدعاية المحيطة بالمجالات الجهادية على الإنترنت لإخفاء الجوانب الديناميكية والحيوية للأنشطة الإسلامية اليومية عبر الإنترنت. إنّ الممارسات الدينية الدنيوية، والأعمال التجارية، والتسوق، والمحادثات، والشبكات الاجتماعية لا تحتل العناوين الرئيسة الدولية، ولكنها تماثل في أهميتها المواقع الجهادية التي تستمد الكثير من التغطية الإعلامية المعاصرة. كان للجيل الأصلي الرقمي، الذي ظهر مع التطور التقني في مجال الواقع الافتراضي، تأثير عميق على تطوير البيئات الإلكترونية الإسلامية.

يمكن أن يكون التأثير التحوّلي الشامل على ممارسة الإسلام قد لوحظ في تمثيل الإسلام في العالم الأوسع، والطرائق التي تتصور بها المجتمعات الإسلامية نفسها وأقرانها. وكان جانب من هذا التحول مرتبطًا بالأداء العملي للشعائر والطقوس الإسلامية وتفسير القرآن وفهمه. في حين ارتبط الجانب الآخر بتأثيرات جذرية جديدة خارج المجالات التقليدية للمعرفة والسلطة، مما يسبب تحولات نموذجية وجذرية على مستوى القاعدة داخل المجتمعات.

كانت التوقعات، بالنسبة إلى المواطنين الرقميين، من حيث الاتصالات واكتساب المحتوى مختلفة بشكل ملحوظ وتطورت بشكل كبير، بما يتماشى مع الفجوة الرقمية التي باتت تقل يومًا بعد يوم. إنّ استخدام الكمبيوتر المكتبي من أجل الوصول إلى الإنترنت أمر عفا عليه الزمن؛ توفّر الأجهزة المحمولة إمكانية الوصول أثناء التنقل. تستمر خيارات الوصول إلى الإنترنت في التضاعف: تحتوي صالة الألعاب الرياضية على أجهزة مزودة بويب، مما يتيح الوصول إلى الوسائط الاجتماعية أثناء ممارسة الرياضة.

من الصعب أن نتخيل العالم الآن دون وسائط التواصل الاجتماعي الموجودة في العديد من السياقات والمساحات الافتراضية والتناظرية. إنّ ظاهرة التحقق من حالة الأشخاص status-checking على برامج التواصل أمر شائع في السياقات الإسلامية كما هو الحال في أي مكان آخر. جعلت الفجوة الرقمية والتطورات المتلاحقة في برامج الوسائط الاجتماعية إلى أن تتحول تلك المظاهر إلى ظاهرة عالمية، من خلال أدوات مثل تويتر twiter وفيس بوك Facebook وسناب شات snapchat وواتساب whatsapp وإنستجرام Instagram.

إنّ القفزة التكنولوجية التي حدثت على مستوى الهاتف المحمول من خلال تقنية دخوله على شبكة المعلومات، وليس من خلال الأجهزة المكتبية، تعني زيادة هائلة، عبر اللغات والثقافات والسياقات، للقنوات التي تنشر معلومات عن الإسلام. تطورت الاتصالات التي أقيمت بين الشبكات وداخلها، وهذا يعني أنّ هناك تطويرا مستمرّا يتم تحديثه بانتظام عبر الإنترنت. شهدت المراحل السابقة للإنترنت نوعًا من الصراع في الفضاء الرقمي بين السلطات الحالية والجديدة، حيث أدى انفتاح الوعي التكنولوجي إلى مضاعفة الحصة السوقية للاعبين أكثر ضراوة من أولئك الذين كانوا فيما سبق يمارسون نفوذهم على نحو تقليدي. امتدت هذه السلسلة إلى وسائل التواصل الاجتماعي، حيث أدى الاستخدام المتطور لتطوير المحتوى إلى تحفيز ظهور أصوات إسلامية جديدة. ظهرت هويات إسلامية جديدة تعتمد على وسائل التواصل الاجتماعية.

خوارزمية السلطة

تستمر خوارزمية السلطة في التطور في مزيج من الوحي الإلهي والبرمجة البشرية والفتاوى التي تحركها الآلة. سيرمز تشفير موقع الويب إلى كيفية بحث القرّاء عن الفتوى والمعرفة الدينية وتحديد موقعها. والتساؤل عما إذا كانت النصيحة التي يقدمها الكمبيوتر ستحل محل دور الخبرة البشرية هو تساؤل مفتوح، ولكن ثمة علاقة تكاملية بين واجهات التناظرية والرقمية التي تظهر داخل تلك المنطقة الافتراضية. عبر الإنترنت، تتخطى المفاهيم الجديدة للسلطة والهوية الإسلامية الأطر الثقافية والدينية التقليدية. هل يمثل الإنترنت تحوّلا في نقل المعرفة الإسلامية؟ يمكن لهذه السلطة الإلكترونية أن تؤثّر على التواصل السياسي والنشاط السياسي من خلال التعبئة الفورية على الإنترنت لتعزيز وجهات نظر وبرامج عمل محددة. طلب الفتوى بشأن المسائل الدينية كان مصدرا من مصادر القلق الرئيس للمسلمين. وثمة سعي مستمر للحصول على الإجابات عن الأسئلة من باحث أو فرد مؤهل بشكل أفضل (إن لم يكن مؤهلًا أكاديميًا) لتفسير الرأي وتقديمه بناءً على مجموعة من الآراء المستمدة من المصادر الإسلامية. كان ذلك بطبيعة الحال قبل ظهور الإنترنت وسيطرته على الساحة المعرفية. أتذكر رؤية عشرات الأشخاص الذين يصطفون في طوابير خارج إحدى المدارس في لاهور، باكستان، في التسعينيات، كانوا ينتظرون الرد عليهم بشأن بعض الفتاوى الخاصة بالأسرة والأحوال الشخصية. ولا يزال التواصل وجهاً لوجه طريقة شائعة للحصول على الفتوى، ولكن الآن يوجد وسيط رقمي متاح للمسلمين الذين يعرفون القراءة والكتابة والمسلمين، والذين تمكنوا من استخدام الإنترنت.

لقد تطورت المنابر الدينية، وأصبحت جزءا من النمو الهائل في الخيارات عبر المواقع الإلكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي ومنصّات الوسائط المتعددة. ولا يزال السوق مفتوحًا أمام مواقع/ منتديات

الأسئلة والأجوبة المرتبطة بالأمور الدينية. وتتمثل احدى مميزات البحث عن الأسئلة والأجوبة والتقاط الحوارات الأخرى مع العلماء على الإنترنت، في تجاوز الحدود الدولية والالتزام بالقيم والتوقعات المشتركة. كما تحفز الآراء الدينية أيضًا طائفة من التخمين والجدل، بينما يوجد في مناطق معينة الاستهلاك غير النقدي لمحتوى المواقع الدينية، فهناك أيضًا أماكن حيث تؤدي عناصر المشاركة في وسائل التواصل الاجتماعي إلى تحديات كبيرة للاستهلاك السلبي لمحتوى الوسائط، خاصة فيما يتعلق بالمعايير والمفاهيم الدينية. إنّ فورية وسائل الإعلام على الإنترنت، والتي من الصعوبة أو ربما الاستحالة السيطرة عليها من خلال السلطات الدينية، يترك الأصوات المتناقضة تنتهك في بعض الأحيان النماذج الديناميكية التقليدية للسلطة بين المرجعيات الدينية والمؤمنين الأفراد. العلاقة بين واجهة رقمية وشخص ما، والتي تلغي الحاجة إلى الالتزام بتقاليد معينة يستدعيها اللقاء المباشر في مكان ما، مثل المسجد، تمتد أيضًا لتشمل المساحة العامة وراء الحدود السياسية والدينية والجغرافية التقليدية. تؤثر مشكلات عدم الكشف عن الهوية والأمان على ديناميكيات التفاعل الاجتماعي والشخصي للمستهلكين عبر الإنترنت في المؤسسات الدولية مع تزويد بعض موفري المحتوى بخيارات مماثلة في توزيع الأفكار الدينية والترويج لها.

بالنسبة إلى الأجيال الجديدة من المتعلمين، فإنّ التطلع إلى الإشباع الفوري من وسائل الإعلام الإلكترونية على مدار الأربع وعشرين ساعة يمنحهم إمكانية استقبال الآراء الدينية وتداولها (بصرف النظر عن اتباعها أم لا). وتمتلك المنظمات والمنصّات الداعية إلى وسائل الإعلام إدراكًا متطورًا بأنّ الرأي يمكن أن يكون له تأثير فوري واستجابة مباشرة، مما يفضي إلى إلغاء تأثير قنوات الاتصال التقليدية الأكثر انتشارًا والإفراج التدريجي عن المعلومات. هذه التطورات لا تخلو من عناصرها السلبية: حيث تفقد الآراء التي تمتعت بقدر من التأمل والتعلم والمراجعة والتحرير قوتها بمرور الوقت في مقابل الآراء التي تم إنتاجها ونشرها بسرعة كبيرة. لا يوجد تمييز في الوسائط الرقمية، حيث يتم توزيع المعلومات فورًا على المؤيدين (والمعارضين).

في ظل هذا الشلّال المتدفق من الرأي والمعلومات الفائضة، قد يتم اكتساب جماهير عريضة أو فقدها عن طريق تغريدة واحدة. ربما ينظر بعض القراء إلى الآراء الدينية على أنّها مجرد عنصر من ضمن عناصر عديدة متاحة على وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بهم، وهي قد لا تلفت انتباههم أو تستغرق وقتًا منهم، ومن ثم لا تمارس تأثيرًا على المعلومات الأخرى التي يتم استقبالها أو التصرف فيها. بالنسبة إلى أولئك الذين تعمل واجهات الوسائط الرقمية الخاصة بهم على نحو دائم، بينما تتوفر المزيد من المعلومات حول الآراء والمعرفة الدينية، فإنّ هذا لا يفضي بالضرورة إلى مزيد من التحليل أو التفسير. تعني توقعات القراء الدقيقة، داخل سوق وسائل الإعلام التنافسية، أنّ قنوات السلطة الدينية قد طورت الوعي بالعلامة

التجارية، ومعايير العرض التقديمي، والرؤية التي تجمع بين أشكال وسائل الإعلام المتنوعة التي يمكن من خلالها الوصول إليهم. إنّ استخدام المتخصصين المحترفين في الوسائط لتقديم محتوى جيد يمنح فرصة أفضل للوصول إلى جماهير محددة.

تتمثل كلمة السر في ضرورة جذب القراء إلى المحتوى باستخدام القصص والمعلومات المصممة. والهدف من ذلك هو جعل القراء يشتركون في قنوات التواصل أو إثارة شغفهم. ويمكن أن يؤدي استثمار الوقت والمال والخبرة إلى نتائج من حيث أعداد القراء وفرص التواصل ونمو حصة السوق. تتشابه القواعد، سواء كانت هذه السلطة الدينية خاضعة للدولة أو مرتبطة بالدولة في مجال تقليدي أو فاعل عالمي غير مؤسس يقوم ببناء شبكات سلطة دينية عابرة للحدود.

ثمة أفراد أو مجموعات صغيرة أمتلكوا القدرة، عن طريق التقنية، على بناء جماهير عالمية تتبنى وجهات نظرهم حول الإسلام، والتي يمكن أن تتعارض مع التفسيرات التقليدية للدولة. وقد انتقل هذا المزيج المعلوماتي إلى مفاهيم الهوية الدينية واستكشاف المعرفة، مع التوجيه والشعور باستخدام السلطة المستمدة من الدراسة العلمية أو التقاليد أو الأطر السياسية أو غيرها من أشكال الخبرة. لا يمكن التقليل من أهمية دور الكاريزما في هذا الأمر، حيث يمكن، في سياق الوسائط المتعددة، التعبير عن قوة الذات لجذب جماهير جديدة من خلال مزيج من الإلهام واستخدام تقنيات الوسائط والخبرة التكنولوجية. كما أنّ استخدام اللغة العامية والاعتراف بهويات محددة (على سبيل المثال، استنادًا إلى المنطقة أو الفئة العمرية أو الطبقة الاجتماعية أو المنظورات السياسية أو الهوية الدينية) يعني أنّ واجهات دقيقة قد تطورت من أجل الوصول إلى تحديد الجماهير التي ربما لا تستطيع الطرائق التقليدية الوصول إليها.

إنّ الدور المتزايد للسلطة الدينية عبر وسيط الإنترنت يركّز بشكل أكبر على اختيار الشخص المؤهل لتقديم الآراء الدينية فيما يتعلق بالقضايا والآراء اليومية. يمكن استكشاف ذلك من خلال النظر إلى المفسرين الأيديولوجيين البارزين في تاريخ المسلمين، حيث يرتبط التعرض للمناهج التقليدية والحديثة للمعرفة والتفسير ارتباطًا وثيقًا بالواجهات التكنولوجية المتطورة مع مرور الوقت. ظهرت شخصيات جديدة ضمن نماذج السلطة، في حين تكيّف العلماء التقليديون مع وسائل الإعلام الجديدة، بما في ذلك القنوات الفضائية والإنترنت.

تعريف السلطة الدينية على الانترنت

عند تحديد خصائص السلطات الدينية الإسلامية في الفضاء الإلكتروني، كما هو الحال مع أيّ منتج أو رأي على الإنترنت، يعدّ التحقق من الأصالة مصدر قلق كبير. وتعتبر العناصر الشعبية والتعليقات والملاحظات وتقييمات الجمهور عناصر فعالة داخل تفسيرات الإسلام السُنّيّة والجماعات الشيعية المتنوعة. إنّ مدى استخدام مستخدمي الموقع للنقد والحذر في تعاملهم مع المصادر موضع سؤال حقيقي. من هنا تبرز أسئلة مهمّة تتعلق بأيّ نوع من الآراء الإسلامية يتم البحث عنه، ومِمَّن؟ ما هي صفات الفتوى على الإنترنت؟ وكيف تختلف عن السلطة والمصادر «التقليدية»؟

يمكن ربط الحصول على الفتوى بمنظّمة أو منصّة مدعومة من جهة ما، كما يمكن أن تكون الفتوى منتجة من قبل شخص معين وتمتلك القدر ذاته من الفاعلية (من حيث الوصول للجمهور)، ويمثل الاستثمار المالي الكبير في الإنترنت من قبل العديد من المنظمات والمنصات الإسلامية محاولة للحصول على مميزات أيديولوجية عبر الإنترنت. يتضح هذا بشكل خاص عند تناول القضايا المتعلقة باتخاذ القرار في الأمور الفقهية وتفسير الإسلام من أولئك الذين يصدرون التصريحات وتقديم الفتوى عبر الإنترنت للمسلمين (وغيرهم). قد يكون من الصعب تحديد بيانات اعتماد هيئة إسلامية عبر الإنترنت، مما يثير قضية معاصرة مهمة تتعلق بالإسلام.

وقد أثار بعض النشطاء المسلمون والعلماء والأفراد بعض المخاوف المتعلقة بالتوجهات الإسلامية على الإنترنت. إنّ البحث عن إصلاحات إسلامية للقرآن أو في مصادر أخرى يتجاوز مجرّد الحفاظ على العلماء المسلمين الذين تلقوا تدريبًا تقليديًا. في حين يعتقد آخرون من خارج تلك النماذج أنهم مؤهلون لتفسير المصادر وفقًا لقدراتهم، دون اللجوء إلى السلطات التقليدية، التي يرى البعض أنّها بعيدة عن الاهتمامات المعاصرة.

تتضمن تلك القضايا آثارًا ليس فقط على السياقات الإسلامية، ولكن أيضًا على الأفراد والمؤسسات (من الداخل والخارج) الذين يتعاملون مع المسلمين في المجالات المحلية والوطنية والعالمية. لقد كان لتطبيق المصادر الإسلامية في عمليات صنع القرار في مختلف المجالات تأثير على طبيعة المجتمعات الإسلامية. إنّ فهم السلطة ضمن السياقات الإسلامية يجعلنا على وعي بالأساليب الخاصة بعمليات صنع القرار في مجالات مثل الأخلاق، وقانون الأحوال الشخصية، والاقتصاد، والتكنولوجيا، والتعليم، والطب. ويعزّز إدراك تنوع القيم الإسلامية القدرة على رؤية ما وراء المنظورات المتجانسة المعروضة في بعض وسائل الإعلام والمصادر الأكاديمية المتعلقة بالإسلام. إن الاهتمام بالتفاعل الإنساني والفكر الفكري المستنير يتمّ

من خلال إدراك كيف يحدث المسلمون نوعًا من التوافق بين ديناميات المعتقدات والتفسيرات الإسلامية المتنوعة مع الحياة في المجتمعات العلمانية أو الحديثة. ومن المؤكد أنّ للمصالح الاجتماعية والسياسية والدينية غير الإسلامية تأثيرا على عمليات صنع القرار. يتمثل أحد الموضوعات الأساسية في الفهم الذي يتم التعبير عنه بشكل متكرر ومفاده أنّ حلول جميع القضايا يمكن أن تكون موجودة في القرآن: «وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا».

ولا يزال تعدد الموضوعات التي برزت في دراستي المبكّرة عن الإسلام في الفضاء السيبراني يتردد صداها اليوم: ما هي الأسئلة التي تطرح عن «أفضل تفسير» في منصّات التواصل؟ كيف تتعامل السلطات الإسلامية عبر الإنترنت مع القضايا الجديدة ذات الأهمية العملية للمسلمين؟ من هو المؤهل لاتخاذ قرار أو تقديم رأي، بناءً على تفسير المصادر الإسلامية؟ هل يمكن استخدام هذه المصادر لمعالجة الضغوط المختلفة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة؟

ثمة مفتاح لفحص العمليات المرتبطة بالسلطة الدينية التي تمتلك فهمًا متطورًا لمفهوم الاجتهاد. وهذا يدفعنا إلى العودة إلى المناقشات التأسيسية حول طبيعة السلطة والقانون في الإسلام. يستخدم المصطلح في كثير من الأحيان (وليس حصريًا) في السياقات السُنّية كجهد للتفسير العملي للمصادر الأساسية الإسلامية في ضوء الظروف المعاصرة. أو مرادف للتجديد والإصلاح ضمن سياقات إسلامية معينة، على الرغم من أنّ إعادة التقييم وإعادة التنظيم يمكن استخدامهما كبدائل مناسبة. يُعرَّف الاجتهاد بأنّه «بذل الحد الأقصى من الجهد لفهم الشريعة من خلال الحكم المنضبط»، وتعتبر الشريعة بمثابة التعاليم الإلهية وقد تم التعبير عنها في القرآن وتفسيره من قبل البشر للإسهام في الشريعة أو القانون الإسلامي (الفقه). عندما كنت أبحث عن الاجتهاد المعاصر في سياقات تمثيلية في منتصف التسعينيات، أصبحت أكثر وعياً بالتبادلات الرقمية التي تحدث بين العلماء عبر مختلف السياقات والمضامين عبر الإنترنت.

وقد تسللت تلك المفاهيم إلى داخل الخطابات الإسلامية بعدّة لغات، لكن يشار إليها في بعض السجالات دون تفسير، وحسب السياق، يمكن أن تكون لها عدّة مستويات من المعنى والأهمية؛ فقد تم تعريف مصطلح الاجتهاد واستخدامه بطرق عديدة، ويظهر على شبكة الإنترنت عدد من ظلال الرأي المختلفة المتعلقة بنشأته.

ضمن السياقات السنّية، على وجه الخصوص، يمكن ربط هذه الآراء بالشواغل الدائرة على صياغة الفتاوى أو الآراء القانونية الصادرة عن علماء الدين والسلطات. أمّا في السياقات الشيعية، فقد استثمرت السلطات أيضًا موارد استراتيجية لتقديم مقارباتهم المفاهيمية عبر الإنترنت نحو التفسير إلى جمهور

عالمي. وتوجد مواد مهمة في مجالات الشيعة والتصوف، على الرغم من أنني لا أقترح وجود قطبية بين هذه القطاعات أو أنّ قطاعًا واحدًا له الأولوية على القطاعات الأخرى. عند استكشاف النماذج السنية، هناك حاجة لتحديد أنواع المشكلات التي تعتبر ذات أهمية والنظر في ما إذا كانت تشكّل جزءًا من المظاهر التقليدية والمعاصرة للاجتهاد وما يرتبط بها من عمليات صنع القرارات التفسيرية.

ويمثل الإسلام السنّي مصطلحًا شاملاً لمجموعة من المنظورات الثقافية والتاريخية والسياسية والقانونية والدينية والاجتماعية، وليس شرطًا أن يتفق كل منظور منها مع الآخر. إنّ الأمر الذي يتوجب التركيز عليه هنا هو أنّ السلطة الدينية والتفسير ينبعان من النبي محمد وأتباعه (بما في ذلك، بالنسبة إلى بعض المنظّرين، الخلفاء الراشدين)، وهي واردة في مجموعة من المصادر، بما في ذلك التفسيرات الفقهية المتنوعة و(بدرجات متفاوتة، اعتمادًا على المذهب الفقهي) مجموعة من أقوال محمد وأفعاله.

أما الإسلام الشيعي، فهو مصطلح عام لثقافة منفصلة من جهة ومترابطة من جهة أخرى، حيث يشمل مجموعة من وجهات النظر التاريخية والسياسية والقانونية والدينية والاجتماعية. على النقيض من الإسلام السنّي، تركز هذه المنظورات على مفهوم أنّ السلطة الدينية والتفسير ينبثقان من النبي محمد وآل بيته، بما في ذلك النسل الممتد للنبي من القادة الروحيين أو الأئمة.

هناك تصورات متنوعة حول من يحق له تطبيق الاجتهاد، بما في ذلك ما إذا كان المجتهد مؤهلا بدرجة كافية وما إذا كان قراره ملزمًا للأفراد أو المجتمع أو العالم الإسلامي. المجتهد هو شخص (من الذكور دائمًا) مؤهّل بشكل صحيح لممارسة الحكم على مسائل التفسير، باستخدام مصادر موثوقة (والتي يمكن أن تختلف وفقًا لمنظور الفرد ولكن من المحتمل أن تشمل القرآن). ويمكن التعبير عن رأيه في شكل فتوى. هذا المصطلح، الذي يعكس تاريخيا بيانًا قانونيًا أو رأيًا أو مرسومًا، يمتلك «قبولًا متأصلًا في الخطاب الإسلامي- وخاصة على الإنترنت -» يشير إلى مجموعة متنوعة من البيانات والخطابات الرسمية. ومن ثمّ لا تتطلب الفتوى فرض الاجتهاد المعاصر من قبل شخص مفسّر حتى تكون فعّالة أو ذات صلة، خاصةً إذا كانت السلطة تعتمد على آراء العلماء والمصادر السابقة.

وليست المسألة المتعلقة بوجود مستجدات حول القضايا الدينية مجرّد اهتمام معاصر؛ إنّها بالتأكيد تسبق ظهور الإنترنت. في الواقع، هناك إشارة إلى هذه المسألة في القرآن: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (101) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (102) مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (103). (المائدة، 102- 103).

وقد تم توظيف هذا الجزء من القرآن لدعم وجهة النظر القائلة بأنّ الكثير من الاجتهاد يفضي إلى المشقّة، وقد أدّى بالبعض إلى المناداة بإغلاق باب الاجتهاد، كما هو مذكور في الحديث: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ». وقد شدد محمد على أنّ في عملية استنباط الأحكام قيودا، وأنّ هناك احتمالا للخطأ.

وعلى الرغم من هذا الاتجاه نحو تقييد السؤال، فقد انشغلت مختلف المؤسسات التعليمية الدولية بقضايا المسائل الدينية والسلطة. إذ قدّم الإصلاحيون المسلمون وجهات نظرهم الخاصة حول شروط مثل هذا التفسير، والسعي إلى الاستحواذ على السلطة من العلماء التقليديين ومصادر المعلومات من أجل بناء نماذج جديدة للمجتمعات المعاصرة. ومع ظهور الآراء والفتاوى عبر الإنترنت، فإنّ مصطلح الاجتهاد نفسه قد اكتسب دفقا جديدا وسط مناقشات حول ما إذا كانت «أبواب التفسير» مغلقة خلال فترة الدراسية الإسلامية الكلاسيكية. وفقًا لتلك الاعتبارات، ربما تجدر الإشارة أيضًا إلى أنّ المسلمين لا يميلون بالضرورة إلى إتباع الخطاب الفقهي المعقّد. وتضمنت هذه المجموعة أولئك الذين كان تركيزهم على الروحانية الإسلامية يتمتع بنوع من الجرأة، على الرغم من أنّ بعض علماء الشريعة كانوا أيضًا من أصحاب الأصول الصوفية والتفسيرات الفقهية. بالإضافة إلى ذلك، هناك أيضًا الأبعاد الباطنية للخطاب الشيعي.

تمّ التعبير عن «الإصلاحات» شفهياً وكتابياً وطباعتها وبثها وقد اتخذت الآن شكلًا إلكترونيًا. قد ينظر إلى هذه الإصلاحات على أنّها نوع من التهديد من قبل سلطات أخرى، أو أنها تتضمن نوعًا من القهر على البعض. ربّما يوجد عنصر عليه نوع من توافق الآراء. وقد يكون المحرك لتلك الإصلاحات بعض الأجندات السياسية الخفية، من غير أن يعني ذلك بالضرورة المساس بمعتقدات المسلمين الأساسية. في الواقع لا يوجد نموذج وحيد للإصلاح؛ وهو يتراوح ما بين النموذج «الأصولي» لأهل السُنّة المحافظين إلى الإصلاحات المحدثة التي تدمج الفكر الإسلامي مع العناصر التي يعتبرها الآخرون علمانية أو غير إسلامية. لقد سعت التفسيرات الصوفية إلى تقديم وجهات نظر جديدة (غير مرحّب بها دائمًا) للمعتقدات الإسلامية، والتي تم ربطها بدورها بالآثار والمساعي التي تركّز على الإصلاح.

يرى بعض المسلمين أنّ هذا «الإصلاح» يمثل تحدّيًا لنموذجهم وطريقة للتأكيد أنّ القرآن عملي ومناسب للحياة في كافة الحالات. وقد يتم الاحتجاج على هذا التوجه عمومًا، من قبل بعض الجماعات السلفية، بالحجة الشائعة التي تقول إنّ القرآن يحتوي على كل شيء، وإنّ محمّدا قد قدّم الإجابات الممكنة على كل الأسئلة، فيكون الرد على ذلك بأنّ هناك جوانب لم يتم التعبير عنها بشكل كامل في القرآن، وأنّ محمدا كان يجيب عن أسئلة عصره لا عن أسئلة العصور التالية عليه. أمّا من داخل السياقات الشيعية،

يركز البعض الآخر بشكل إضافي على خلفاء محمد كما هو ممثّل في خطوط مختلفة من الأئمة المعصومين من المعاصي والمؤيدين بالإلهام.

إذا كانت أقوال محمد وأفعاله، المسجلة في مصادر الحديث والسنّة (والتي جمعت بعد موته بسنوات عديدة)، تدخل في المعادلة، عندئذٍ ستكون لدينا مجموعة من المواد يتم تجميعها معًا عبر مصادر وقنوات متنوعة. في بعض الأحيان، يتم الاعتماد على دقة المصادر في توفير، العديد من التفسيرات المختلفة لحدث ما أو قول، في حين أنّ القرآن يوفر نصًا إلهيًا واحدًا. ومع ذلك، واعتمادًا على الآيات، يمكن التوصّل إلى بعض الشروحات المختلفة (ليست بالضرورة مكمّلة لبعضها)، بالاعتماد على التقنيات التفسيرية المختلفة وعلى الموقف الشخصي والخلفية وكفاءة المفسّر.

التواصل عبر السلطة الرقمية

نظرًا لانخفاض الفجوة الرقمية ومحو الأمية المتعلقة بها لدى قطاعات عريضة داخل المجتمعات المختلفة، أصبحت وسائل التواسط على الإنترنت من المحركات الرئيسة لإسقاط النماذج الدينية وتشكيل الاهتمامات المختلفة لتلك القطاعات. وقد ظهرت قواعد بيانات جديدة مهمتها جمع الآراء الدينية. وثمة محاولات عديدة لإعادة تشكيل نماذج السلطة التقليدية كنوع من المواجهة لثقافة الإنترنت الناشئة. تشير توقعات الجمهور الرقمي إلى احتمالية السيطرة التقنية على أشكال السلطة- الخطب والفتاوى والصلوات- عبر الإنترنت؛ ففي رأي مارشال ماكلوهان، تتمّ صياغة مفهوم السلطة من خلال التطبيقات التي تستخدمها، ويتم تحويل رسالة الإسلام وفقًا لذلك إلى تغريدة أو مشاركة أو مقطع فيديو. هذه التطورات تثير مخاوف البعض من فكرة سيادة النزعة الاستهلاكية في الدين. وقد أدت التحديات التي تخلقها سُبل الاستهلاك المتغيرة باستمرار إلى استجابات ديناميكية من قِبل السلطات والمنصات المعرفة تكنولوجيًا، في حين تخسر التحديات التي تدفعها روايات النشر التناظرية في أسواق المعرفة الرقمية.

سعت السلطات إلى بناء منصات على أسس تكنولوجية خالصة، حتى تتمكن السلطة التقليدية من ممارسة دورها في مختلف السياقات، باستخدام المناهج المختلفة. في كازاخستان، تم تقديم ورشات عمل للملالي لتوسيع محو الأمية الرقمية في القطاع الديني، مع الاعتراف بأنّ جماهير المعرفة الدينية قد تغيرت في السياقات عبر الإنترنت. وقد لاحظ أحد الأئمة بأنّه «لا أحد يريد أن يكلّف نفسه عناء الاستماع إلى خطب المساجد... يفضّل الشباب الحصول على إجابات لأسئلتهم [عن الدين] دون مغادرة منازلهم. لهذا السبب، يجب أن ينشط الأئمة على الشبكات الاجتماعية.» من الممكن أن تكون المساجد محدودة بالنسبة إلى بعض

الأقليات المسلمة المتواجدة داخل مجتمع ما، مما يؤدي إلى البحث عن المعرفة عبر الإنترنت. وثمة انقسام في الرأي فيما يتعلق بشرعية استخدام الإنترنت لأغراض دينية. وقد لاحظ ذاكير نايك، وهو هنديّ الجنسية يحظى بانتشار واسع على شبكة الإنترنت: «إذا استخدمنا الإنترنت لأغراض جيدة، فهو نعمة بالنسبة إلينا، ولكن إذا تم استخدامه في أمور خاطئة، فيمكن أن يفضي إلى الكثير من المشاكل. ليساعدنا الله جميعًا في الاستخدام الصحيح للإنترنت.»

وقد ترتّب على ذلك، ظهور شخصيات دينية مشهورة تحدّت المعايير، من خلال تطوير أدوات تتجاوز المفاهيم التقليدية للسلطة إلى العوالم الفضائية. أصبح الإنترنت أيضًا مكانًا يجتمع فيه العلماء لمناقشة آرائهم ونشرها، وأدت إقامة الاتصالات بين الشبكات الصغيرة والمنظمات إلى تطور خاص لمراكز المعلومات الدولية، مع شروع الأئمة بإنشاء مواقع شخصية لعرض الخطب والتفسيرات. وتضمنت مواقع الويب أيضًا تفاعلات حقيقية في العالم الحقيقي مع السلطات: في تتارستان، يمكن للمستخدمين طلب الخدمات الدينية عبر الإنترنت من خلال خدمة imulla، كما يجري تطوير تطبيقات لإجراء الشعائر والطقوس الدينية عبر الإنترنت.

كما تمت الاستفادة من شعبية بعض الشخصيات على الإنترنت لتسليط الضوء على بعض المشاكل. ضمن سياق الربيع العربي في اليمن، تم استحضار الداعية المصري عمرو خالد، مع فريق آخر من العلماء، للتجاوب مع بعض قضايا التعليم الإسلامي من خلال المدوّنة الصوتية. كان ارتفاع أسهم الدعاة الجدد في الإعلام يتناقض بشكل ملحوظ مع المراكز الأكثر تقليدية، التي تآكلت تأثيرها وشعبيتها جزئيًا بسبب الوسائط الجديدة. واجهت جامعة الأزهر في مصر مشاكل محددة في هذا الصدد، مع الظهور التدريجي والمنافسة التي بدأت تظهر مع أئمة الإعلام على الفضائيات والإنترنت.

ويشير الحراك المرتبط بالإنترنت إلى التحرر من قيود المكان، فليس شرطًا على الشخص مُقدِّم الرسالة الدينية أن يوجد داخل مؤسسة أو مبنى خاص من أجل ذلك، كما يمكن الحصول على درجة من التأثير والسلطة من خلال تكنولوجيا الإنترنت، مثل استخدام مؤتمرات الفيديو لتقديم محاضرات حيّة. وتتيح تقنية الإنترنت الفرصة لإجراء مناقشات متعمقة حول القضايا والأسئلة المثيرة للجدل. وتتراوح المناقشات من التفسيرات الصغيرة إلى الاستكشافات المعقدة والنفسية للتطرف. ويعد تطبيق الإنترنت من أجل تجاوز الحدود المادية والانخراط في نقاشات حقيقية واقعًا مغيّرًا مهمًا للعب داخل مجال الموضوعات المثيرة للجدل، والتي هي على قدر كبير من الحساسية.

دخلت الأفكار حول الفكر الإسلامي المعاصر بشكل طبيعي إلى سوق المعلومات، حيث يستطيع الأيديولوجيون والمنظمات الرئيسة التعبير عن فهمهم للإسلام والسياسة في الفضاء الإلكتروني. إنّهم قادرون على الوصول إلى جماهير متعلمة ذات درجة عالية من معرفة الثقافة، والتي تتجاوز الجماهير التقليدية لهذه المواد. في بعض الحالات، يكونون قادرين على التغلب على الرقابة، خاصة إذا تم نفيهم من أماكنهم الأصلية. يتضمن الخطاب السياسي المعاصر بشكل طبيعي المحتوى عبر وسائل التواصل الاجتماعي، بما في ذلك الخطب والتعليقات على الأخبار وغيرها من الطرق لتوليد أشكال مختلفة من الولاءات عبر الإنترنت.

ثمة عدم وضوح بين المحتوى الديني والسياسي في العديد من السياقات، وقد ظهر هذا في جميع مراحل تطور الإنترنت، حيث كانت المنظمات والمنصات استباقية في المراحل المبكرة من المواقع الإلكترونية وغرف الدردشة. وتم تحديد سوق هذا المحتوى، إذ أصبح وسيلة فعالة من حيث التكلفة للمثقفين السياسيين أو الدينيين لتقديم أفكارهم حول الإسلام كجزء من الاستراتيجيات الأوسع نطاقًا للإعلام، بما في ذلك البث التلفزيوني عبر الأقمار الصناعية وأشكال النشر الأساسية الأخرى، مثل أشرطة التسجيل الصوتي. كان هناك حماس منذ الأيام الأولى لمحتوى الإنترنت، حيث كان ملحقًا لأشكال أخرى من النشر السياسي، مثل وسائل الإعلام المطبوعة، وقد أصبح الآن أساسيًا لاستراتيجيات العديد من المنصات. بالإضافة إلى المنظمات التي تستخدم الإنترنت - وخاصة شبكة الويب العالمية- لتقديم وجهات نظرها حول القضايا الدينية والسياسية، فإنّ ظهور المنظور الفردي من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، إلى جانب ظهور منصات ومنظمات جديدة على الإنترنت، أثّر على الخطاب التقليدي. وقد تمّ تمثيل هذا بشكل جيد في سياق الربيع العربي وما بعده، حيث كان للمحتوى عبر الإنترنت تأثير محدّد.

ثمّة العديد من الشخصيات السياسية المهمة التي ظهرت عبر الإنترنت، سيكون من الصعب إدراجها جميعًا هنا، بالنظر إلى أنها تنتمي إلى عدد من السياقات اللغوية والثقافية والدينية المختلفة. فيما يتعلق بالأفكار حول الحداثة والإسلام، أظهر البعض مركزية الإنترنت كوسيلة لترسيخ مفاهيم «الإصلاح». إنّها ببساطة الوسيلة الأحدث في سلسلة من التواصل السياسي الذين استفادوا من مصادر وسائل الإعلام المتاحة من أجل نشر وجهات نظرهم، من الأيام الأولى من المطبعة إلى استخدام وسائل الإعلام الاجتماعية اليوم. إنّهم يتعاملون مع القضايا المهمة المرتبطة بـأمور الشريعة الإسلامية وتفسيرها لاستكشاف مفاهيم معينة مرتبطة بديناميكيات «الإصلاح» الإسلامي وتنوعه.

عمل أنور إبراهيم على ترويج فكرة الإصلاح الإسلامي في ماليزيا كجزء من أنشطته السياسية طويلة الأمد، والتي تخللتها فترات من السجن. على الرغم من ذلك، فقد كان هو ومؤيديه من أوائل من استخدموا

الإنترنت ضمن مجموعة متنوعة من سياقات استعمالها، بما في ذلك المدوّنات ووسائل التواصل الاجتماعي. وقد استمر إبراهيم، من خلف قضبان السجن، في المحافظة على وجود إعلامي نشط، مع تعليق على الاهتمامات الإقليمية والدولية، بما في ذلك حملة هاشتاغ #freeanwar، والتي استخدمها منتقدو إبراهيم أيضًا للتعبير عن معارضتهم لإبراهيم مع ضرورة إطلاق سراحه. وقد حافظت عزّة، زوجة إبراهيم، أيضًا على وجود استباقي يروّج لإطلاق سراحه وجدول أعمال (حزب العدالة الشعبية Parti keadilan rakyat)، الذي تتزعمه لمعارضة الحكومة الماليزية.

يمكن رؤية تطبيق الإنترنت كوسيلة لتعزيز الجوانب التفسيرية المحددة للسياسة والدين في أعمال المفكّر الإيراني عبد الكريم سوروش، الذي يناقش موقعه على شبكة الإنترنت، باللغة الفارسية والإنجليزية، وقناته على اليوتيوب مقاربته الدينية (وهو ينظر إليها على أنّها قابلة للتغيير). إنّ وجهة نظر سوروش تسترعي الانتباه إلى اعتقاده بأنّه يجب على رجال الدين ألاّ يحتكروا التفسيرات، أو يصرّون على ضرورة تنفيذ أحكامهم الفردية في المنظور الديني- السياسي. وقد استخدمت الأصوات الناقدة الأخرى للشأن الإيراني، الإنترنت بشكل مستمر لتقديم وجهات نظرهم حول الدين والسياسة، سواء من داخل أو خارج حدود الجمهورية الإسلامية. وقد نال محسن كاديفار دعم أكاديمية جامعة ديوك لتدشين الثورة الخضراء في العام 2009، والتي رفعت شعار الفصل بين القانون الديني والمدني. وقد اعتمد كاديفار على الإنترنت لتسهيل الدعاية لفكرته، حيث تنشر صفحته الرئيسة كتبًا إلكترونية باللغة الفارسية ومواد أخرى باللغة الإنجليزية. حسن يوسف اشكفاري، الذي سُجن في إيران في الفترة الممتدة بين عامي 2002 و2005، يستخدم شبكة الإنترنت من مقرّ إقامته في ألمانيا، للحصول على تعليق مستمر حول القضايا الإيرانية.

يمتد التنافس على التأثير السياسي والديني، ليشمل مجالات الجندر وتعدد التفسيرات المرتبطة به، على وجه الخصوص، المنظمات والأفراد الذين يحددون مخططات معينة مرتبطة بتعزيز المشاركة السياسية للمرأة في السياقات الإسلامية. هذه قضايا معقدة وديناميكية داخل العديد من مجتمعات المسلمين. أصبح استخدام الإنترنت عنصرًا مهمًا في التواصل بين النساء، حيث يمكن إجراء اتصالات كان لها تأثير مستمر حتى في المراحل الأولى من ظهور الشبكة العالمية. يمكن أن تتراوح أنواع الخطاب عبر الإنترنت حول الجوانب السياسية والدينية من الناشطين على مستوى القاعدة إلى أولئك الذين يحملون درجة من السلطة. وقد استخدمت، على سبيل المثال، الأكاديمية الأمريكية أمينة ودود الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي لترويج مناهجها التفسيرية للقرآن وغيره من المصادر.

وبالمثل فعلت فرحات هاشمي، وقد اتخذت من مدينة تورنتو مقراً لها، وكانت غادرت موطنها الأصلي باكستان لمتابعة الدراسات الأكاديمية في اسكتلندا، والعودة بشهادة الدكتوراه للتدريس في الجامعة الإسلامية الدولية في إسلام أباد. تروّج هاشمي الآن نظرتها للعالم عبر القنوات الفضائية والإنترنيت، مع التركيز على قضايا الأسرة والجندر، المخصصة أساسًا للجمهور من الإناث، مع البحث عن أصولها في التفسيرات التقليدية القائمة على القرآن والحديث. تثير عروض هاشمي منظورًا دينيًا محددًا، حيث ترتدي حجابًا كاملاً وتجلس على مكتب مع كمبيوتر محمول ومجموعة من النصوص الإسلامية. موقعها على الويب يشتمل على سلسلة من التطبيقات، بما في ذلك تطبيق يسمى "القرآن في اليد Quran in Hand"، ويتضمن شروحات على القرآن مع المحتوى الصوتي المرتبط به. أما تطبيق الهدى al-Huda، فيقدم خيارات التعلم عن بُعْد للجوانب المختلفة من التفسير مع الترجمة الفورية لها، استنادًا إلى محاضرات الإنترنيت. في تلك العروض، تقدّم هاشمي محتوى يركز بقوة على الجوانب الأسرية كالأبوة والأمومة والزواج. كان تطبيق الهدى محورا للجدل والانتقادات بسبب موقف هاشمي النظري ضد الشيعة، والمؤثّر عموما في بعض علماء الدين السعوديين والباكستانيين. إنّ إنتاجات الهاشمي وعروضها على الإنترنت مثالان بارزان على كيفية دمج القضايا الجندرية مع التقاليد الدينية في وسائل الإعلام الحديثة.

تقدّم بعض المنظمات التي تشمل نساء يعيشون في ظل قوانين إسلامية منصة على الإنترنت للشبكات العالمية والأنشطة الإقليمية بينما تقوم بسرد بعض الروايات الإخبارية المهمة والتطورات بسبع لغات. وتسمح الترجمة المتقاطعة المتوفرة بمقارنة التوجهات المختلفة داخل العديد من سياقات الدعوة ومستوياتها حول القانون والإصلاح. وتعتبر فكرة الدعوة السياسية فكرة مهمة في السياقات المحلية أيضًا: في المملكة المتحدة، على سبيل المثال، يسعى مجلس النساء المسلمات في برادفورد بوصفه منظمة غير حكومية إلى توفير الدعوة من أجل التركيز على عدد من القضايا ذات الصلة داخل السياقات المحلية والعالمية. تستخدم منظمة الحملات الفرنسية "lallab" وسائل التواصل الاجتماعي لمكافحة قضايا الجندر بالإضافة إلى موضوعات أوسع بما في ذلك "فوبيا الإسلام". هناك تفاعل بين الأبعاد الدينية والسياسية في الفكر الإسلامي الحديث، على الرغم من أنّ هذه العناصر ليست دائمًا مكملة لبعضها البعض. ويمكن أن تضم الناشطين الذين يعلقون على الكثير من المسائل الدينية التقليدية والعكس صحيح. ولأنّ الإنترنت أصبح ساحة للنقاشات المتداولة حول ماهية الإسلام وطبيعة المسلمون، فإنّ وسائل التواصل الاجتماعي والمحتوى الذي يتم توفيره عبر الإنترنت تمثّل جزءا لا يتجزأ من ديناميات الهويات والأنشطة الدينية المعاصرة.

إسلام القصّ Copy واللصق Paste

استخدام الإنترنت لدعم الأغراض الدينية لا يخلو من التعقيدات. لا تضمن الشبكة أنّ المصادر التي تمّ تطويرها للاستهلاك عبر الإنترنيت، سيتم تطبيقها بطريقة «صحيحة إسلاميًا»، حتى من قِبل أولئك الذين يفترض أنّهم متخصّصون في العلوم الإسلامية أو يتم تدريبهم، ليمارسوا نوعًا من النفوذ الديني. نشأت ثقافة «القص واللصق»، حيث يتم استخلاص المواد التي يكون مصدرها الإنترنت والمواقع الأخرى، ويتم استخدامها في الخطابات مع أو بدون إسناد مرجعي للأصل. بالإضافة إلى ذلك، ثمة اتهامات تم توجيهها للبعض «بالنسخ واللصق وقراءة الخطب دون فهم محتوياتها». وقد دفعت تلك الأوضاع البعض إلى محاولة تقنين مسألة النقل عن طريق رفع مستوى تدريب المتعاملين مع الإنترنت من حيث كيفية معالجة المعلومات ونقلها.

الخطب المملّة والتي يحتمل أن تكون مسروقة هي ببساطة تحدّ إضافي عبر الإنترنت للسلطات الدينية. إنّ التحديات التي تواجه القيم والمعتقدات الدينية الأساسية وتأثير الأبعاد الباطنية المرتبطة بالتدين هما موضوعان منتشران يؤثران على السلطات الدينية التقليدية. في المناطق التي يوجد بها المزيد من الأساليب التقليدية للتفسير، يمكن اعتبار هذه التحديات جديدة من نوعها وغير إسلامية. وقد قام الشيخ عبد الرحمن السديس (إمام المسجد الحرام في مكّة) بالتوفيق بين تكنولوجيا المعلومات وأسس الإسلام: «قال الإمام إنّه ينبغي على المسلمين استخدام التقدم التكنولوجي لنقل رسالة الدين عبر العالم. إذا لم يكن الصحابة (رفقاء النبي محمد) قد بدأوا في نشر رسالة النبي، لما كان الإسلام قد ازدهر. لذلك، يجب على المسلمين استخدام الإنترنت ووسائل الإعلام الإلكترونية لنشر الدين في العصر الحديث». ويتم تكرار هذه الدعوات عبر السياقات الإسلامية في جميع أنحاء العالم. تتمتع إندونيسيا، أكبر بلد مسلم من حيث عدد السكان، بمستوى عالٍ من التفاعل الرقمي فيما يتعلق بالدين. قام العديد من رجال الدين بإنشاء وتطوير ملفات تعريف على الإنترنيت، مما يعزز الآراء التي تعارض الحجج «المتطرّفة».

يمكن طلب الفتوى بشأن مسألة ما من مختلف المصادر، بالبحث في أرشيفات قاعدة البيانات الخاصة بالفتاوى والمراسيم والآراء والأسئلة والأجوبة، أو عن طريق التواصل مع سلطة دينية ما (على سبيل المثال عبر فيس بوك Facebook أو تويتر twiter أو رسائل الهاتف sms أو البريد الإلكتروني). وهناك ميزة واحدة لمقدّمي المشورة والفضوليين هو أنّ مستخدم الإنترنت يمكن أن يكون مجهول الهوية. في حين أنّ هذا العامل، المتعلق بعدم الكشف عن الهوية، ربما يتم تضخيمه في الدراسات السيبرانية عمومًا، فإنّه يثير بعض المشكلات المحددة والفريدة من نوعها. ويشمل ذلك ما إذا كان الرأي عبر الإنترنت ملزمًا

والآثار المعنوية على الشخص الذي قدّم الحجة أو طرح السؤال. هل يجب اتباع الرأي الذي يتم التماسه عبر البريد الإلكتروني؟ هل الأبعاد الأخلاقية لتلقّي رأي مّا من عالم ما في سياق رقمي يتماثل مع تلقّي رأي في سياق غير رقمي؟ في محاولة للحاق بالتطورات السريعة في وسائل التواصل الاجتماعي والإنترنيت، تعمل السلطات على إعادة صياغة النهج المتبع تجاه هذه القضايا الدينية والقانونية. في هذا السوق الغني بالمعلومات، يكون البعض أكثر نشاطًا من البعض الآخر، حيث يلزم أيضًا تقديم إرشادات حول كيفية التوسط باستخدام السلطة والمحتوى عبر الإنترنيت.

السلطة تحت المجهر

إنّ قياس المدى التطبيقي للمعرفة المكتسبة عبر الفضاء الإلكتروني، فيما يتعلق بالإسلام، أمر يصعب التوصل إليه، حيث إنّ فتاوى الصحف التي وفّرت أرشيفها على شبكة الإنترنت، استنادًا إلى أعمدة كتبها العلماء، انتقلت إلى إدخال مصادر الفتوى على الإنترنت في المواقع التي تم إنشاؤها خصيصًا لهذا الغرض.

ثمة تحفّظ واحد فقط، يتمثل في أنّ المصادر المتاحة عبر الإنترنت يمكن أن تبدو رسمية وإسلامية، ويمكن أن تتضمن محتوى كبيرا، في حين أنّها لا تمثل رأي الأغلبية. إنّ للسلطات البديلة التي تعلن عن نفسها على نحو مطّرد على الإنترنت مجموعة من النقاد، لكن فيما يتعلق بالتحليل الأكاديمي، فإنّهم يلقون نظرة ثاقبة على التنوع الإسلامي المعاصر، ويمثلون آراء قد تكون صعبة لتحديد موقع المواد الأخرى. إنهم يناقشون قضايا جديدة مهمة، دون أساس مباشر في المصادر التقليدية كما يمكن نشر آرائهم بسرعة ولكن لا يتم ملاحظتها أو متابعتها بالضرورة. قد يزور القراء موقعًا إلكترونيًا آخر للتوصل إلى رأي أكثر تماشيًا مع وجهات نظرهم الشخصية. هذه هي النتيجة التي لاحظتها على مستوى العمل الميداني في العالم لاستكشاف اهتمامات صنع القرار ومفاهيم السلطة الدينية في التسعينيات، عندما لاحظ العلماء أنّ من يلتمسون الفتوى «ينساقون» صوب الآراء التي تتوافق مع تطلعاتهم. ومع ذلك، فإنّ الفيض الزائد للمعلومات، ولا سيما في القضايا المثيرة للجدل، هو أمر مهم في سوق مشبع بالمعلومات. وقد قدم أحد المسلمين هذا الرأي: اعتقد أنّ العديد من الشباب يضلّون طريقهم عندما يتعلق الأمر بتبني رأي ما. أولئك الذين لديهم أسئلة ولا يعرفون إلى أين يتوجهون. الآن هناك شبكة الإنترنيت، لكن العديد من الشباب لا يمكنهم التعرف على الإجابات التي يحصلون عليها؛ فهي إمّا أن تكون بالغة التشدد، وإمّا أن تكون بالغة العمومية أو منفصلة عن الواقع. يقول الشباب على سبيل الدعابة: «لنذهب إلى الشيخ غوغل Sheikh Google، اكتب شيئًا يتعلق بموضوع ما، وستجد كل ما يبحث عنه الناس تحت هذا الموضوع».

إنّ عملية إنتاج الفتوى تعمل على تحفيز النقاش وتشجيع التفسير النقدي لبعض الآراء الدينية. في عصر من النقاشات البارزة حول أصالة الإنترنت وانتشار «الأخبار المزيفة»، يمكن أن يكون ثمة بعض الإيجابيات: «بنفس الطريقة التي يعلم بها الإنترنت تدريجياً الأشخاص، ضرورة ألا يصدّقوا كلّ ما يقرؤونه على الشاشة، لأنّه قد يكون صادرا من شخص مختل نفسيًا وعقليًا. فإنّه على الجانب الآخر ثمة أهمية كبيرة لتداول الفتاوى على الإنترنيت، حيث أثبتت أنّه لا يوجد شيء يدعى التفسير «الصحيح» للنصوص المقدّسة». رغم أنّ هذا الرأي جيّد في مجمله، ويمكن قبوله، إلاّ أنّه يفترض أنّ منصات الفتاوى على الإنترنت متحرّرة من السلطات التي تمارس نفوذها وهيمنتها كما الماضي مع فارق وحي هو أنّ الأدوات قد أصبحت مختلفة ومتجدّدة.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569
الهاتف : 54 99 77 537 212+
الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com
www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2020

All rights reserved © 2020